مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 04 (02) ديسمبر 2020 ص ص 480-494

البيئة في الإسلام

Environment in Islam

هواري حمادي*
جامعة معسكر (الجزائر)، البريد الالكتروني: houari.hammadi@univ-mascara.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2020/09/27	2020/11/13	2020/12/01

الملخص:

هدف البحث هو بيان العلاقة الوثيقة بين الإسلام والبيئة، إذ نسعى في هذا البحث باعتماد منهج تحليلي إلى وصف كيفية تعامل الإسلام عقيدة وشريعة مع البيئة، من خلال دوره في في نبذ ومكافحة الفساد في الأرض وإرساء مفهوم الخلافة فيها. فبعد التطور العلمي والتقني الرهيب الذي عرفه العالم مؤخرا، أصبح الإشكال التالي مطلبا ملحا في العلم لكي يفتح لنا أفق العمل عليه وهو: بما أن التطور التقني والعلمي أفرز اثرا خطيرا على البيئة في العالم ألا يمكن أن نجد في الإسلام منهجا خاصا لمواجهة تلك الإفرازات تنطلق من جانبه الروحي وجمعه بين العلم والعمل والمادة والروح؟

الكلمات المفتاحية: *الإسلام، البيئة، العلم، الإنسان، الحضارة.*

Abstract:

The aim of the research is to show the close relationship between Islam and the environment, as we seek in this research by adopting an analytical approach to describe how Islam deals with belief and law with the environment, through its role in rejecting and combating corruption on earth and establishing the concept of caliphate in it. After the terrible scientific and technical development that the world has known recently, the following problem has become an urgent requirement in science in order to open the horizon for us to work on it: Since the technical and scientific development has had a serious impact on the environment in the world, is it not possible for us to find in Islam a special approach to confront these secretions that starts from His spiritual side and his combination of science, work, matter and spirit?

Keywords: *Islam ; the environment ; science ; people ; civilization.*

* **المؤلف المرسل**

مقدمة:

من أهم الديانات التي أولت العناية القصوى للبيئة الإسلام، الذي أكد منذ وجوده الأول على أهمية العناية بالمحيط الذي يعيش فيه الإنسان، حيث جاء في مختلف معتقداته وشرائعه و ورد في الكثير من نصوصه على رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الدعوة إلى العناية بالأرض والطبيعة، وأكد الإسلام على أن الخلافة في الأرض تقوم على محاربة الفساد وتحقيق الإصلاح فيها الذي لا يمكن أن يكون منفصلا عن درء الفساد في المحيط، إذن منذ القديم، منذ فجر الإسلام يرتبط هذا الدين ارتباطا وثيقا للبيئة في معتقداته وشرائعه.

بناءا على ما سبق تكتسي العلاقة بين الإسلام والبيئة أهمية كبرى في بيان أن الإسلام كان وما يزال حريصا على الاعتناء بالبيئة والمحيط ولاسيما في أبحاث المفكرين الذين جعلوا العناية بالمحيط والكون ككل، كما أنه دين سماوي يعتبر الحفاظ على البيئة نموذج الحضارة الراقية والمتطورة تظهر على وجه الخصوص في التأكيد على أهمية الجانب الروحي في ظل مخلفات العلم والتقنية والمادية المتوحشة على البيئة.

تعود أهمية موضوعنا إلى راهنيته وفعاليته في مواكبة تحديات الراهن وعلى رأسها التلوث البيئي الذي يمكن اعتباره من أهم مشاكل العصر، التي يمكن أن نلتمس لها طرحا وفهما ومتميزا في الإسلام كأحد الديانات الأكثر انتشارا وتأثيرا، كما أنه من شأن الموضوع تنويرنا ولاسيما في مجتمعنا العربي والإسلامي بسبل الحفاظ على البيئة ولاسيما في عصر الأوبئة الخطيرة وعلى رأسها وباء كورونا التي لا يمكن مواجهتها إلى بالعناية بها، الذي يعتبر شرطا محوريا لضمان هواء نقي خال من الفيروسات.

إشكال المقال يدور حول التساؤل المحوري التالي: ما هي العلاقة بين الإسلام والبيئة؟ والذي ترتبط به عدة أسئلة فرعية نحاول البحث فيها في هذا المقال وأهمها: ما

مفهوم الإسلامي؟ وما المقصود بالبيئة؟ وكيف ينظر الإسلام للبيئة باعتباره تدينا وتدبرا في الكون وفي كل ما يحيط بالإنسان؟

تظهر فرضية البحث في أن الإسلام يدعوا بل ويأمر بالحفاظ على البيئة دينا وتدينا وله دوره مستقبلي أساسي في العناية بها ويمكن صياغتها وفق فرضيتين جوهريتين:

الأولى: تظهر رعاية الإسلام عقيدة وشريعة للبيئة في إطار مفاهيم الخلافة والإصلاح في الأرض.

الثانية: تتبين عناية الإسلام تدبرا وفكرا للبيئة في إطار مفاهيم الوجود، والحضارة والمواطنة.

إذن من الأهداف الكبرى لدراستنا، استقصاء العلاقة المحورية بين البيئة والإسلام كدين وتدين وكفكر وحضارة وفق منهج تحليلي ووصفي، نتيجته المحورية ضرورة توظيف الإسلام في حماية البيئة راهنا ومستقبلا.

الإطار المفاهيمي للدراسة:

1. مفهوم البيئة:

هناك عدة تعريفات للبيئة أهمها:

في اللغة العربية: ترتبط البيئة بكلمة أو الفعل (تبوأ). يقال تبوأت منزلا أي نزلته، وبوأت الرجل منزلا، بمعنى هيئته ومكنت له فيه. وقال تعالى في الآية 56 من سورة يوسف: وكذلك مكنا ليوسف في الأرض تتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين" فالبيئة هي المكان الذي ينزل فيه الإنسان أو الحيوان... هي الإطار الذي يمارس الإنسان فيه حياته، والبيئة أيضا هي مجموعة الظروف والأحوال والمواد والأحياء التي قد تؤثر على الإنسان ويتفاعل معها " (شحاتة، 2001، صفحة 7).

في الاصطلاح لها عدة تعريفات: "تعرف البيئة بأنها الطبيعة، أي العالم من حولنا فوق الأرض، بينما نجد بعض الباحثين عرفها بأنها: مجموعة العوامل الطبيعية المحيطة

التي تؤثر على الكائن الحي أو التي تحدد نظام مجموعة إيديولوجية مترابطة، وفي نفس هذا الاتجاه عرفها مؤتمر ستوكهولم عام 1972 ومؤتمر تبليسي 1978 بأنها، مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى" (بوظاظو، 2010، صفحة 50).

يتضمن مفهوم البيئة كل ما يوجد في طبيعة، حي أو غير حي. كما أننا عندما نقول البيئة لابد أن نحدد موقع الإنسان فيها بدرجة الأولى، حيث تعني في مفهومها العام "الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان مؤثرا ومتأثرا". (بوظاظو، 2010، صفحة 50).

البيئة ذات علاقة وثيقة بالإنسان رغم أنها تمثل ما يحيط به لأنها تساهم في شأنه وتطوره وراحته النفسية والجسمية فهي الإطار العام الذي يحيا فيه من ماء وهواء، وتربة ونبات وحيوانات "وتشمل البيئة أيضا علاقة الإنسان بالإنسان التي تنظمها المؤسسات الاجتماعية والعادات والتقاليد والقيم والأديان" (بوظاظو، 2010، صفحة 52).

2. مفهوم الإسلام:

تشتق كلمة الإسلام من مفهوم السلم، انطلاقا من قوله تعالى في الآية 63 من سورة –الفرقان–: "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما"، "معناه تسلما وبراءة لا خير بيننا بينكم ولا شر" (ابن منظور، 2005، صفحة 263)، ويرتبط السلم في الإسلام بعدة مجالات تكمن في العلاقة التي يقيمها الإنسان مع الآخر ، والتي تقوم على التعامل السلمي مع كل ما يوجد في الكون بما فيه البيئة أو المحيط الذي يدعوا الإسلام إلى التعامل مع ما يوجد فيها من بشر أو حيوان أو نبات أو جماد برفق ولين وسلم، وحتى إذا فهمنا الإسلام بمعنى: "الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم" (الجرجاني، 2006، ص26)، فإنه بموجب خضوع

للأوامر والنواهي الإلهية التي تقوم دون شك على الدعوة إلى احترام البيئة وما يوجد فيها من حيوان ونبات وجماد، عن طريق الإصلاح في الأرض الذي نشرحه فيما بعد.

من خلال استعراض مفهوم الإسلام، نصل إلى أن الدين الإسلامي بغض النظر عن كونه أحد الديانات التوحيدية الثلاثة الكبرى، يمثل: معتقدات وشرائع أو عبادات ومعاملات يقوم بها المسلم لكي يحقق صلته بالله تعالى، وهذه الصلة بدون شك هي ما تكون البيئة طرفا أو واسطة فيها.

انطلاقا من المفاهيم السابقة، نصل إلا أن هناك علاقة تكامل وانسجام بين كل من البيئة وهي المحيط، والإسلام باعتباره دين للسلام مع ما وجد في هذا المحيط، وهو ما سنحلله في المحطتين اللاحقتين، كدين أو كممارسات عقدية وشرعية من جهة، وكأفكار وفلسفات من ناحية أخرى.

3. البيئة في الإسلام كدين وتدين (المعتقدات والشرائع):

ينظر مختلف علماء الإسلام للعلاقة بين البيئة والإسلام من زاوية الدين و التدين أو في إطار التناسب والانسجام بين كل من العقيدة السليمة والشريعة الصحيحة والمحافظة على البيئة، ويمكن أن نفهم ذلك في جملة من المفاهيم، كالخلافة، العبادة، الإيمان، العناية... حسب العناصر التالية:

البيئة والخلافة في الأرض:

يجب أن يعتقد المسلم أنه خليفة الله في الأرض يصلح فيها ولا يفسد، فبالرجوع إلى قوله تعالى في الآية 30 من سورة البقرة، " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون"، فالهدف الأسمى من وجود الإنسان في الأرض هو الخلافة فيها، وهي مهمة الإنسان في الأرض، والذي لا يكون خليفة فيها إلا إذا قام بشؤونها، وعمل على حمايتها والحفاظ على ما يوجد فيها من مخلوقات حية وغير حية.

البيئة والإصلاح في الأرض:

يبدأ الإصلاح في الأرض بمحاربة الفساد فيها بأشكاله المختلفة، والفساد في الأرض هو فساد البيئة دون شك، فالخلافة في الآية السالف ذكرها اقترنت بالإصلاح في الأرض والذي يشترط بدوره محاربة الفساد فيها والذي لا يتحقق بدوره إلا بالعناية البيئة أو المحيط، وبالتالي ثنائية الاصلاح والفساد في الأرض يرتبط بدوره بالعناية بالمحيط أو البيئة التي تعتبر الارض جزءا لا يتجزء منها، و دعوة الإسلام إلى تحقيق الخلافة في الأرض والتي تقوم على مركزية الإنسان ورسالته في الحفاظ على الكون والتي من دون شك لا تختلف عن الحفاظ على البيئة التي هي المحيط والكون والوجود، حيث جاءت مختلف النصوص القرآنية والنبوية داعية إلى عدم الفساد في الأرض وإلى النظافة وغرس الأشجار...وغير ذلك منها قوله تعالى في الآية 56 من سورة الأعراف: "وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّه قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ"، وبالتالي فالدعوة محاربة الفساد في الأرض في آيات مختلفة الشرط الأول للإصلاح في الأرض.

البيئة وتسخير ما في الوجود للإنسان:

هناك عدة آيات في القرآن الكريم، تؤكد أن كل ما في المحيط أو كل ما يوجد في الأرض والسموات والبحر مسخر للإنسان، منها قوله تعالى في الآية 20 من سورة لقمان: "ألم ترى أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض" حيث سخر الله كل ما الوجود أو الطبيعة للإنسان.

البيئة والغاية من وجود الإنسان:

تبعا للعنصر السالف طرحه، خلافة الإنسان في الأرض، وكما ورد في الإسلام والقرآن الكريم تحديدا، الإنسان لم يخلق عبثا، أي وجد لغاية وهدف ورسالة تناط اليه في هذا الكون أو المحيط الذي هو بشكل أو بآخر البيئة، فانطلاقا من قوله تعالى في الآيتين 115-116 من سورة المؤمنون: "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون*

فتعالى الله الملك الحق لا أله إلا هو رب العرش الكريم" يتبين أن المخلوقات ومركزها الإنسان لم توجد عبثا بل هناك حكمة وغاية إلهية تقف وراء وجودها، وهي عبادة رب واحد " وبالتالي يتحقق الانسجام في الكون بقيام كل مخلوق بوظيفته التي اقتضتها الحكمة الإلهية في الأرض، والتي ترتبط بمصالح جميع المخلوقات والمحافظة عليها من طرف الإنسان، وهنا تكون المحافظة عل البيئة شرطا للعملية، فبالمحافظة على الطبيعة ومواردها التي هي أمانة في أيدينا، وجب أن ندرك أن الاستثمار أو الانتفاع منها يقتضي المحافظة على البيئة.

البيئة وممارسات المسلم:

أهم قضية تطرح في مجال العلاقة بين الإسلام والبيئة، تكمن في جملة الأسس والقواعد التي وضعها الإسلام في مجال ممارسات المسلم اتجاه المحيط، والتي يتم من خلالها تعامل المسلم الصحيح والهادف مع البيئة، والذي محوره المشي في الأرض بالهون والرفق والسلام مع ما فيهـــا من موجودات، فعندما نعود إلى قوله تعالى في الآية 11 من سورة الرحمن: "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما"، حيث لا يمكن الفصل بين الإسلام والمشي في الأرض بالهون واللين والرفق بمختلف الموجودات فيها حيوانات أو نباتات أو جمادات، فقد حث الإسلام على نظافة المحيط، وغرس الأشجار، وحماية الحيوان وكل ما من شأنه ان يؤدي ‘إلى سلامة البيئة.

البيئة والنهج الإسلامي في الحياة:

الطابع العام للدين الإسلامي، يبين أنه دين يزاوج بين النظر والعمل، أو التأسيس والتطبيق، بحيث يتم فيه التركيز على الممارسات كما أسلفنا الذكر، والجمع بين العلم والعمل يجعل للإسلام نهجا خاصا في حماية البيئة، يقوم على نظافة المحيط والبدن والثوب والحرص على نظافة الماء وطهارته ويجعل ذلك شرطا للوضوء والاغتسال،

ويدعوا إلى سلامة المأكل والمشرب والملبس...فالنهج الإسلامي في الحياة محوره تحلي المسلم بسلوكيات المحافظة على كل ما يحيط بالإنسان كشرط للمحافظة عليه هو ذاته.

البيئة والمحافظة على الموجودات:

يؤكد الإسلام على حماية مختلف الموجودات، بدءا من الأرض التي يجب المحافظة عليها، والماء والأماكن العامة، ورعاية مختلف الكائنات الحية، فالعناية بما يوجد في الطبيعة قد يكون طريقا للنجاة في الآخرة، ومن عذاب النار في المعتقد الإسلامي.

4. البيئة في الإسلام كفكر وتدبر:

يمكن أن نفهم نظرة الإسلام إلى البيئة في هذا المجال، عند المفكرين والفلاسفة من زاوية أخرى حسب توجهاتهم المختلفة القائمة على عقلنة الدين لكي يفهموا مختلف القضايا منها البيئة، حيث يمكن أن نفهم تصوراتهم حول هذا الموضوع، في إطار قراءة خاصة للدين الإسلامي ولاسيما للنصوص المؤسسة له، يجعلنا بحيث تفهم في إطار جملة من المفاهيم أهمها: الجمال والحضارة والكرامة والمواطنة. وهنا سنعتمد بعض النماذج لتوضيحها وهي:

البيئة والجمال:

يمكن أن نفهم هذا العنصر بالعودة إلى اهتمام التصوف بالبيئة في إطار الجمال حسب جملة من المفاهيم، منها التجلي ووحدة الوجود والفناء وغير ذلك من الأحوال والمقامات نجدها غير منفصلة عن الطبيعة والبيئة لأنها تعبر عن الصلة العميقة بين الإنسان والله تعالى بواسطة الطبيعة والاغتراف من نورها فالتجلي مثلا حسب بن عربي هو" ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب وهو على مقامات مختلفة: فمنها ما يتعلق بأنوار المعاني المجردة عن المواد من المعارف والأسرار ومنها ما يتعلق بأنوار الأنوار، ومنها ما يتعلق بأنوار الأرواح وهم الملائكة، ومنها ما يتعلق بأنوار الرياح، ومنها ما يتعلق بأنوار الطبيعة" (ابن عربي، 2010، صفحة 171). فوحدة الوجود لا تفصل بين الله

والطبيعة والتي بالطبع وجب أن تكون في أسمى معانيها التي يضفيها عليها الإنسان حين يحافظ عليها لدرجة تجعل الله هو التجلي والمتجلي والوجود مظهرا له، ويمكن القول أنها تجعل من الطبيعة و البيئة صورة له، ويثبتها بمجموعة من الأحاديث النبوية كقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر" إشارة إلا أن وجود الدهر هو وجود الله، ووجب تنزيهه تعالى عن الشرك والند والكفؤ بالقول بوجود شيء، فلا فاصل ولا فارق بين الإله والطبيعة التي هي صورة له ومرآة عاكسة يتأمل فيها نفسه ومركزها الإنسان الذي يسموا ويرتقي نحو الكمال متى أدرك سر وجوده ومركزيته في الطبيعة التي دون شك لا تنفصل عن المحافظة على البيئة. وبالتالي يرتبط الطرح الصوفي للبيئة بمفهوم الجمال حسب مفهومه الصوفي ومفاده: "نعوت الرحمة والألطاف من الحضرة الإلهية، ويرتبط بالأنس هو جمال الحضرة الإلهية في القلب"(القاشاني، 2010، صفحة 211). فالجمال عند المتصوفة قد يبدوا مفارقا أو متعاليا عن الطبيعة والبيئة في حين أنه عكس ذلك لأنه تحقيق للخلافة في الأرض باسم مركزية الإنسان في الكون والطبيعة التي لا يستطيع المحافظة عليها إلا إذا أدرك سر وجوده فيها، وحافظ عليها وعلى البيئة تحديدا.

البيئة و الحضارة:

لا يمكن الفصل بين الحضارة كمجال للتطور في مختلف المستويات والمنجزات والقول بالمحيط أو البيئة النظيفة، وإهمال البيئة والمحيط لا يظهر إلى عند فرد متخلف أو في وسط متخلف عن الركب الحضاري، يقول مالك بن نبي في هذا الصدد: "فكرة المحيط تدخل في كل عمل فردي أو إداري في وسط متحضر" (بن نبي، 2012، صفحة 100)، فالإنسان المتحضر يحمل دائما فكرة المحيط أو البيئة في ذهنه ولا يستطيع العبث أو إهمال المجال الذي يعيش به إذا كان يعيش في كنف حضارة متطورة، وهنا يتبين أنه لا حضارة دون الاعتناء بالمحيط. كما أن الاعتناء بالمحيط كرمز للتحضر يرتبط بالجمال

كما أسلفنا الذكر، ولكن هنا من خلال الصورة الجمالية التي يضفيها البشر على المحيط والتي يحافظون عليها وعلى وجودها فيه، ويضيف مالك بن نبي في هذا الصدد "الإطار الحضاري بكل محتوياته يتصل بذوق الجمال، بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة فينبغي أن نلاحظه في نفوسنا وأن نتمثل في شوارعنا وبيوتنا ومقاهينا مسحة الجمال نفسها التي يرسمها مخرج رواية في منظر سينمائي أو مسرحي (بن نبي، 2012، الصفحات 100-101). كما يضيف مالك بن نبي بصدد الحديث عن خطر التطور التقني الرهيب على البيئة والإنسان ككل في مختلف المستويات، مبينا أنه يتيح للمسلم دور جديد ومميز في الثلث الأخير من القرن العشرين الذي يأتي بعد فشل تجارب الآخرين أو بالتحديد العلم المادي في حل مشاكل الإنسان، يقول ابن نبي "الحضارة العلمانية حضارة الصاروخ حضارة الإلكترون اكتسبت هذه الأشياء (التطور المادي) وضيعت بعدا آخر تشعر بفقدانه هو بعد السماء" (بن نبي، 1978، صفحة 29). هنا يؤكد دور الدين في حل مشاكل العلم المختلفة بما فيها تلوث البيئة... مبينا دور الدين في بناء حضارة اليوم متحدثا عن الحضارة الأوربية قائلا "إن اوربة حققت المعجزات في عالم الاكتشافات وعالم العلوم ولكنها فقدت في أعماق نفسها البعد الذي كان يروح عليها ويرفه عنها ويسندها في وقت المحن لأنه يربطها بوجود الله" (بن نبي، 1978، صفحة 29)" ومن دون شك هو البعد الديني الذي يعطي للطبيعة والكون ككل اهتماما كبيرا.

البيئة والمواطنة:

ينظر الفكر الإسلامي على أن البيئة هي الوطن، حيث لا يمكن أن نفصل بين البيئة والوطن، لأن البيئة هي وجه الوطن الذي نعيش فيه، حيث يرى مالك بن نبي أن الجمال هو وجه الوطن في العالم الذي نلاحظ فيه وجهنا وبه نحفظ كرامتنا ونفرض احترامنا على جيراننا الذين ندين لهم بالاحترام نفسه" فعندما نتدبر في الإسلام نجد انه يدعوا إلى

النظافة وجمال المحيط الذي يلعب دورا هاما في ثقافة المواطنة التي اعتنى بها مختلف أعلام الفكر الإسلامي.

5. أبعاد العلاقة بين الإسلام والبيئة:

هناك عدة أبعاد وآفاق للعلاقة بين الإنسان والبيئة نلمسها في النقاط التالية:

1.5 التربية البيئية:

يلعب الإسلام دورا هما في التربية البيئية، التي من دون شك تجد الكثير من دعائمها في التربية الإسلامية، فالتربية البيئية "تسعى إلى إيجاد وعي بأهمية البيئة بالنسبة لمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بحيث تؤدي إلى إشراك الناس بجميع مستوياتهم وبطريقة فعالة في صياغة القرارات التي تنطوي عليها المساس بنوعية بيئتهم بمكوناتها المختلفة وفي مراقبة تنفيذها" (بوظاظو، 2010، صفحة 95) والتربية الإسلامية تؤسس للوعي بقيمة البيئة وتحث الناس بمستوياتهم المختلفة على انتهاج سلوك قويم نحوها، فالإسلام يعتبر الوسيلة الأنسب للتأثير على جميع فئات الناس صغارا وكبارا في مجال احترام البيئة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية على وجه لاالخصوص ولاسيما أن حضارتها ومجتمعها وهويتها...تولي أهمية قصوى لإسلام في العبادات والعادات، التي تجد فيها البيئة حضورا كبيرا.

2.5 نظام البيئة:

"وهو نظام يتشكل من علاقات تبادل مادي وسط محيط معين" (أوجيه، 2008، صفحة 40). ولكن عندما يرتبط بالإسلام فإنه ينتقل من المستوى المادي إلى الروحي، ولاسيما عندما يكون الفاعل هو الإنسان الذي تجمعه علاقة تأثير وتأثر بالمحيط، فللجانب الروحي تأثيره في الإنسان الذي يؤثر من خلاله في البيئة بصورة إيجابية، وهنا استعنا بتعريف صادق جلال العظم له في قوله:" إن الدين يعنينا هنا من حيث هو قوة هائلة تدخل في صميم حياتنا وتؤثر في جوهر بنياننا الفكري والنفسي وتحدد طرق تفكيرنا وردود

فعلنا نحو العالم الذي نعيش فيه وتشكل جزءا لا يتجزأ من سلوكنا وعاداتنا التي نشأنا عليها" (العظم، 2003، صفحة 12) حيث وجب عدم اعتبار الإسلام مجرد عبادات أو طريق إلى النجاة في العالم الآخر فقط لكن اعتباره قوة تؤثر في حياتنا المعيشة ووفي سلوكاتنا وتصرفاتنا تحديدا التي من دون شك جزء كبير يتجه منها نحو البيئة والمحافظة عليها.

3.5 تأسيس الإسلام للقيم ودورها في الحفاظ على البيئة:

ويكون الحفاظ على البيئة بمختلف القيم التي أسس لها الإسلام وأهمها التعاون على البر والتقوى بدل الإثم والعدوان، حيث الإسلام يحث على التعاون في الحفاظ على المحيط برا وبحرا وجوا، يؤكد الإسلام كذلك على التسامح والحوار والاحترام المتبادل لكل ما يوجد في المحيط.

4.5 الإسلام والبيئة وتحديات الراهن:

معطيات العولمة وما ترتب عليها من إفرازات خطيرة على الطبيعة والبيئة، سيجعل الإسلام يطرح وفق رؤى جديدة بدت تظهر ملامحها من الآن، رؤية تخرج عن إطار الصراع بين التيارات والفرق والأحزاب إلى أخرى تتجه نحو الكونية والعالمية التي أرادها الإسلام، وهي تلك التي تتجه نحو مواجهة الخطر المشترك للبشرية في أشكاله المختلفة ومحوره تهديد الأرض أو البيئة من التطور العلمي والتكنولوجي الحاصل، وفي هذا الإطار ستساهم مشكلة البيئة في "تحول الدين والظواهر الروحية إلى جزء من الثورة الجمالية والثقافية والاقتصادية" (بوزيد، 2009، صفحة 120)، والثروة هنا هي ما يمكن استثمارها واستغلالها في إسلام فعال في عصر تقدم الآخر وتخلفنا نحن، إسلام يحمل أفق الحضارة العالمية والسعادة للبشرية جمعاء بدل الرؤية السائدة حوله والتي تنسب إليه التطرف والإرهاب وتؤسس من خلاله لما عرف بالإسلاموفوبيا.

الخاتمة:

في ختام هذا المقال، ندرك أن الإسلام دين سلام مع كل ما يحيط بنا من حيوان ونبات وجماد، حث منذ القديم و في مختلف نصوصه وتعاليمه على ضرورة المحافظة على البيئة في إطار خلافة الإنسان في الأرض وحثه على محاربة الفساد فيها والإصلاح فيها الذي تكون البيئة طرفا كبيرا فيه، وفي الفترة المتأخرة وبعد التهديدات الحاصلة على البيئة بفعل التقنية وهيمنة ما هو آلي وما هو مادي، أكد الفكر الإسلامي على إعطاء الأولوية للجانب الروحاني والإنساني، الذي يلعب دورا كبيرا في الدعوة إلى الحفاظ على الطبيعة والحد من هيمنة الآلة والخراب في الكون.

كما أن تحليل العلاقة بين الإسلام والبيئة وفق تحليل ديني وعلمي، يجعلنا نصل إلى صحة الفرضيتين:

الأولى: المنطلقات الكبرى لرعاية الإسلام –عقيدة وشريعة – للبيئة تفهم في إطار مفاهيم الخلافة والإصلاح في الأرض التي تعتبر الغاية الكبرى لخلق الإنسان، الذي لم يخلق عبثا وإنما للخلافة ومحاربة الفساد والتأسيس للإصلاح في الأرض، وهو ما تعتبر البيئة طرفا محوريا فيه.

الثانية: القراءة العلمية والمتفحصة للإسلام تجعلنا ندرك أنه يولي رعاية قصوى للبيئة لا تقف عند حد المعاملات والسلوكيات بل العودة إلى الإسلام تدبرا وفكرا وعلما لما ورد في نصوصه المحورية وعلى رأسها القرآن والسنة الشريفة، تجعلنا ندرك أنه يحافظ على البيئة في إطار مفاهيم عميقة أهمها الوجود: وجود الإنسان في الكون، والحضارة: الحضارة الراقية والمتطورة، المواطنة: باعتبار أن الحفاظ على البيئة من الحفاظ على الوطن والانتماء له.

وبالتالي فالنتائج الكبرى لبحثنا هي:

– الإسلام عقيدة وشريعة، تنظير وفكرا، يعتبر أهم الأديان التي تحث على المحافظة على البيئة في جميع المجلات.

– الإسلام أهم الأديان التي تكرس الجانب الروحي، الذي من شأنه أن ينقذ البيئة مما يهددها اليوم، ويحد من سيطرة النزعة الآلية والمادية الصارمة التي تهدد الدين والبيئة في الوقت ذاته.

كما أن أهم التوصيات يمكن أن نضعها في النقاط التالية:

– لا بد من استغلال الدين الإسلامي ولاسيما في مجتمعنا، في معالجة مأزق البيئة اليوم وذلك بتوظيفه في مواجهة إفرازات العلم والتطور التي تهددها، وتفعليه في مختلف المؤسسات الدينية والتربوية في التنويه والدعوة إلى الحفاظ على البيئة في مختلف المنابر والدروس والدراسات العلمية.

– لابد من الاستفادة من الإسلام في بناء تربية بيئية همهما الأكبر بيان أهمية الجانب الروحي في الحفاظ على البيئة للحد من هيمنة الجانب المادي في مختلف المؤسسات الدينية والتربوية والثقافية.

وصفوة القول في الأخير، إن الإسلام كدين يجمع بين المادي و الروحي ، يتعامل مع الطبيعة أو البيئة التي تحمل طابعا ماديا بمنطلقات روحانية علمية وعملية تجمع بين التدبر والعبادات والمعاملات، لا مفر من استثمارها في مواجهة التحديات الراهنة والمتأخرة وعلى رأسها التلوث وانتشار الأوبئة، وذلك بفهمه فهما علميا وموضوعيا وفعالا ومواكبا للمستجدات.

المراجع والمصادر:

إبراهيم، بوظاظو. (2010). *السياحة البيئية وأسس استدامتها*. الوراق للنشر والتوزيع عمان، الأردن.

ابن منظور.(2005). لسان *العرب*. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط1.

بومدين، بوزيد (2009) *التراث ومجتمعات المعرفة*. الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت لبنان. منشورات الاختلاف الجزائر. ط1.

مالك، ابن نبي.(2012). *شروط النهضة*. وزارة الثقافة. الجزائر. ط، 11.

مالك، ابن نبي.(1978). *دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين*. دار الفكر دمشق.

محي الدين، ابن عربي.(2006). *الفتوحات المكية*. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.

شريف، الجرجاني.(2006). *التعريفات*. مؤسسة الحسني. الدار البيضاء المغرب ط1.

عبد الرحمن، بدوي. (1980). *فلسفة الدين والتربية عند كانط*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1.

عبد الله، شحاتة.(2001). "*رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة*". دار الشروق القاهرة مصر. ط1.

صادق، جلال العظم.(2003). *نقد الفكر الديني*. دار الطليعة –بيروت لبنان –.

لالاند، أندريه.(2001). *موسوعة لالاند الفلسفية*، ج3. منشورات عويدات بيروت لبنان، ط2.

مارك، اوجيه و جان بول، كولاين. (2008). *الأنثربولوجيا*، تر: كتورة جورج. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت لبنان ، ط1.